

الدراسات والأبحاث حول موقع طبنة الأثري خلال الفترة الاستعمارية (1848-1901)

Studies and research on the archaeological site of Tabna during the colonial period (1848-1901)

تاريخ النشر: 2025/06/11

تاريخ القبول: 2025/05/23

تاريخ الإرسال: 2025/01/03

أسامة الطيب جعيل¹

¹المركز الجامعي بريكة، الجزائر، EMAIL : oussamatayeb.djail@cu-barika.dz

الملخص:

تقع أطلال الموقع الأثري لمدينة طبنة اليوم على بعد 04 كم من وسط مدينة بريكة، كان هذا الموقع شاهدا على مرور حقبة زمنية متعددة تعايش خلالها أبناء البلاد والعنصر الوافد، فموقع طبنة الذي ظهر كتجمع سكاني سنة 20 ق.م، سرعان ما أصبح حصنا عسكريا وقلعة تحمي حدود الإمبراطورية الرومانية ثم البيزنطية من ثورات السكان المحليين، لتصبح عاصمة إقليم الزاب بعد الفتوحات الإسلامية إلى غاية اندثارها مطلع القرن الرابع عشر ميلادي. وخلال هذه الحقبة الزمنية المختلفة، عرفت المدينة استحکامات عسكرية واستبحارا في عمرانها في فترة عزها وقوتها، مع مرورها بفترات ضعف سياسي أدى إلى تخریب عمرانها وبقيائه أطلالا، ومع تقدم الاستعمار الفرنسي نحو المناطق الداخلية للجزائر، أجريت دراسات تاريخية وأبحاث تنقيبية للكشف عن آثار الموقع الأثري طبنة بداية من سنة 1848 واستمرت إلى غاية سنة 1901، وكانت في مجملها عبارة عن عمليات كشف لمعالم الموقع الأثري بطريقة عشوائية من طرف العسكريين الفرنسيين، وكانت أبرز وأهم هذه الحفريات ما قام به الباحث العسكري الفرنسي راؤول غرنج R.Grange بين عامي 1900-1901، (وتهدف هذه الدراسة إلى إمطة اللثام على تاريخ مدينة طبنة العريق، مع التعريف بأهم الدراسات والتنقيبات التي أجريت حول موقعها الأثري).

الكلمات المفتاحية: طبنة، بريكة، إقليم الزاب، الدراسات التاريخية، الأبحاث الأثرية.

المؤلف المرسل: أسامة الطيب جعيل، الإيميل: oussamatayeb.djail@cu-barika.dz

Abstract:

The ruins of the archaeological site of the city of Tobna are located today 4 km from the center of the city of Barika. This site witnessed the passage of multiple eras during which the people of the country and the foreign element coexisted. The site of Tobna, which appeared as a population center in 20 BC, quickly became a military fortress and a castle protecting the borders of the Roman Empire and then the Byzantine Empire from the revolts of the local population, to become the capital of the Zab region after the Islamic conquests until its demise at the beginning of the fourteenth century

During these different periods of time, the city witnessed military fortifications and an expansion in its construction during its period of glory and strength, while passing through periods of political weakness that led to the destruction of its construction and its remaining in ruins. With the advance of French colonialism towards the interior regions of Algeria, historical studies and excavation research were conducted to uncover the remains of the archaeological site of Tobna, starting in 1848 and continuing until 1901. They were, in general, operations to uncover the features of the archaeological site in a random manner by the French military. The most prominent and important of these excavations was that carried out by the French military researcher Raoul Grange between 1900-1901. (This study aims to unveil the ancient history of the city of Tabna, while identifying the most important studies and excavations conducted around its archaeological site.)

Keywords: Tobna; Barika; Zab region; Historical Studies; Archaeological researchs.

1. مقدمة:

من بين المدن التي صنعت تاريخا حافلا بالأمجاد والبطولات والمآثر في بلاد المغرب عبر عصوره التاريخية، مدينة طبنة التي دلت المصادر التاريخية على وجودها ككيان وتجمع سكاني منذ سنة 20 ق.م، لتتحول إلى استحكام عسكري روماني بعد احتلال بلاد المغرب، والواضح أن بنائها كان نهاية القرن الأول الميلادي أو بداية القرن الثاني الميلادي ضمن خط الدفاع الروماني الشهير بالليمس، الذي طوّق كتلة جبل الأوراس ممتدا إلى منطقة الحضنة وغيرها، ليتحول الحصن العسكري لطبنة إلى مدينة تعج بالسكان بداية من القرن الثالث ميلادي، وأسهمت هذه المدينة في دحر ثورات السكان المحليين ضد الرومان، مما أهلها من أن تصبح مقر البروقنصل بونيفاس بداية من القرن الخامس ميلادي، ومنها أصبح يسير المقاطعة ويُنفذ الجيوش، ليتفطن البيزنطيون إلى الموقع الهام للمدينة، فأعادوا ترميمها سنة 540م لتصبح أحد أهم المدن في المنظومة العسكرية البيزنطية، وبعد وصول الفاتحين المسلمين لبلاد المغرب، عُرف أن أول فاتح وطأت خيله المنطقة هو أبي المهاجر دينار (55-62هـ) في طريقه من ميله إلى تلمسان عبر بلاد الزاب، ثم أصبحت مستقرا للفتح عقبة بن نافع الفهري في ولايته الثانية على بلاد المغرب الإسلامي، بعد ختام حملته العسكرية التي وصلت إلى المحيط الأطلسي، لتلعب دورا هاما في مرحلة عصر الولاة خاصة بعد تسرب النزعة الخارجية إلى بلاد المغرب الإسلامي، ليؤهلها موقعها الاستراتيجي وحصانها لتترقى إلى عاصمة إقليم الزاب منتصف القرن الثاني الهجري، ونظرا لأهميتها وموقعها الوسط في حماية عاصمة بلاد المغرب (القيروان) أصبحت الخلافة العباسية تعين عليها والي من بغداد مباشرة، ليستمر ازدهار المدينة إبان فترة حكم الأغالبة حتى قيام دولة الفاطميين، التي أثرت بناء عاصمة جديدة لإقليم الزاب وهي مدينة المحمدية (المسيلة) وكان وقوع المدينة ضمن مضارب قبيلة زناتة ذات المذهب السني، دور كبير في تحطيم عمران المدينة خاصة أنها كانت ممرا للثائرين على الحكم الفاطمي أو العكس، استمر بريق المدينة التي أنجبت أسرا علمية ارتحلت مشرقا ومغربا لطلب العلم إلى غاية غياب عن كتابات المؤرخين والجغرافيين بدءا من القرن الثامن هجري/ الرابع عشر ميلادي.



أما أطلال الموقع الأثري طبنة فيبعد اليوم عن وسط مدينة بركة ب 04 كم مقابل المركز الجامعي، وهو عبارة عن كومة كبيرة من الطمي والتراب تختفي تحتها مدينة بأكملها، فمساحة المدينة داخل الأسوار والضيقات المحيطة بها تقارب 600 هكتار، وبعض معالمها ظاهرة للعيان مثل الأعمدة و الخزان المائي والقصر البيزنطي والإسلامي وواجهة المسجد الإسلامي والحمام الروماني وموضع الكنيسة والمقبرة الرومانية ، أما الأبحاث الأثرية التي عُنيت بمدينة طبنة إبان الفترة الاستعمارية لم تكن لتكشف اللثام عن هذه المدينة الكبيرة بمساحتها ،العظيمة بتاريخها، واستمرت هذه الأبحاث من سنة 1848 إلى غاية سنة 1901، وأهم هذه الأبحاث ما قام به الباحث العسكري راؤول قرنج الذي أقام بالمدينة لسنتين قام خلالها بعمليات تنقيبية واسعة كشف عن أبرز معالم المدينة الأثرية.

فإلى أي مدى أسهمت الدراسات والأبحاث التي أجراها الفرنسيون في الكشف عن معالم مدينة طبنة الأثرية؟ وهل كانت هذه الدراسات ذات منهج علمي دقيق أم أنها عمليات كشف عشوائية تفتقد إلى الدقة العلمية؟

2. التعريف بالموقع الأثري طبنة

1.2 أصل التسمية

ورد اسم المدينة لأول مرة في النصوص القديمة عند بليينوس الأكبر pline Lanciem في مؤلفه التاريخي الطبيعي " Histoire Naturelle " تحت اسم " Tuben oppidum " (pline, 1980)، ولفظة oppidum اللاتينية هي صفة غالبا ما كانت تطلق على المواقع العمرانية المحصنة و تعني عموما المدينة و " tuben " هي الأرجح المدينة الرومانية "Thubane".

ووردت تسمية توبوني في المصادر المكتوبة تحت أشكال مختلفة تذكر من بينها: "Tubonis"، "tubiniensis"، "Tubunensos"، "Tubunis"، "thubunas" (Gselle, 1910)، غير أن التسمية الرائجة في مصادر ومراجع الفترة القديمة هي "Thubunae" أو "Tubunae". ومن المرجح أنه تم تحويل التسمية منها إلى العربية طبنة عموما رغم هذه الاختلافات الواردة في تسمية المدينة، حيث اتفقت المصادر القديمة على أن توبوني هي مدينة

رومانية تنتهي إلى مجال بلاد نوميديا غير أن الجغرافي اليوناني بطلموس (ptolemaiss)، يذكر أن مدينة توبوني تقع بموريتانيا القيصرية mauritanie cesaruenne ربما أن الأمر هنا يتعلق بمدينة أخرى تحمل نفس التسمية ومن المستبعد أن تكون هي نفسها التي تقع اليوم على بعد 4 كلم جنوب مدينة بريكة ما يحملنا على القول بوجود مدينتين تحملان نفس الاسم. (جعيل، 2019).

حافظت مدينة توبوني "tubunae" على هذه التسمية طيلة الفترة الممتدة من الاحتلال الروماني لنوميديا إلى تاريخ خروج البيزنطيين من بلاد المغرب إلا أنه حصل تحول جزئي للاسم القديم مع الحفاظ دائما على التقارب الألسني والصوتي بالمقارنة من التسمية اللاتينية إثر الفتح العربي الإسلامي، فهي الاسم المغرب للاسم اللاتيني القديم، كما أنها تموضعت في نفس المجال وعلى أنقاضها تم بناء المدينة العربية الإسلامية وقد ذهب ياقوت الحموي في معجمه إلى أن طبنة "تسمية" عجمية" و مثلها في العربية الطبنة لعبة للأعراب". (الحموي، 1990) وهو أمر مرجح لأن العجمة واضحة في اسم هذا الموضع، و الحقيقة أن أمثلة عديدة لجملة من المواضع بإفريقية تتقارب في نطقها مع التسمية اللاتينية لمدينة "Thubunae" من بين هذه المدن طنبياس "Thunbeis".

2.2 الموقع الجغرافي لمدينة طبنة

تقع مدينة طبنة اليوم على بعد 04 كيلومترات جنوب شرق مدينة بريكة، وتقع إداريا ضمن حدود بلديتي بريكة وبيطام، على الطريق الوطني 77 الرابط بين بسكرة وبريكة و على الطريق الوطني 70 الرابط بين مدينتي بريكة وامدوكال، وهي تقع بين وادي بريكة وبيطام. (لقبال، 1978)، أما في الفترة الوسيطة فيضعها الجغرافيون ضمن حدود إقليم الزاب الواسع والممتد على حدود مقاطعة نوميديا القديمة، فيصفها اليعقوبي: "... طبنة مدينة الزاب العظمى وهي في وسط الزاب و بها ينزل الولاة ...". (اليعقوبي، 2003)، أما الجغرافيون المحدثون فيضعون المدينة ضمن نطاق شط الحضنة حيث يصف ابن



خلدون موقع المدينة بقوله: "وبلاد الحضنة حيث كانت طَبنة ما بين الزاب والتل ...". (ابن خلدون، 2000).

3. الأعمال التنقيبية الفرنسية حول موقع طَبنة الأثري

إن الدراسات التي أنجزت حول موقع طَبنة تعد قليلة جدا، إذا ما قورنت بمواقع أخرى، ربما يرجع هذا إلى صعوبة التوصل إلى نتائج مرضية وذلك لاستيطان الموقع من قبل شعوب مختلفة عبر حقب زمنية متباعدة، ولا يتم هذا إلا بإجراء حفريات علمية دقيقة لمعرفة التسلسل التاريخي للموقع. (ينظر إلى الشكل رقم 01)

وتمثلت الدراسات أو بالأحرى التقارير التي كُتبت أو أنجزت حول المدينة في بعض المعلومات البسيطة التي يعتمد فيها الباحث إلا على الوصف وإعطاء فرضيات غير مدعومة بأدلة مادية بسيطة، ما عدا ما قام به الباحث قرنج "Grange" الذي أجرى حفريات كشف من خلالها عن معظم المعالم الأثرية للمنطقة، إلا أن نظرتة الغير الموضوعية تجاه تاريخ الجزائر وللحضارة الإسلامية، جعلته يحيد نوعا ما عن الهدف الحقيقي للبحث، أما ما أجري من أبحاث فهي كالآتي:

1.3 تحريات تكسي (Texier) من 15 أفريل إلى 15 ديسمبر 1848

تعرض تكسي في بداية مقاله إلى موقع طَبنة الإستراتيجي والمحجرة التي ساهمت في تزويد المدينة بمواد البناء (تقع المحجرة في الجبال الشرقية عند جبل متليلي، حيث آثار استغلالها لا تزال ظاهرة إلى اليوم) ويُرجع تكسي تاريخ تأسيس المدينة إلى عهد الإمبراطور جوستينيان عندما قام بترميم و تزويد تحصينات الإمبراطورية الرومانية في شمال إفريقيا، ويضيف على أن المدينة تحكمت في الجزء الشرقي من الحضنة والممرات التي تربط سطيف بالأقاليم الجنوبية وممرات نقاوس التي تؤدي إلى بلزمة، أما عن مصادر مياهها، فتسقى طَبنة من وادي بركة الذي يصب في شط الحضنة وبذلك تُعتبر هذه المدينة نقطة

إستراتيجية لكونها إحدى مخازن المؤونة الرئيسية للتل فقد عثر فيها على بقايا مطاحن رومانية العديد منها كاملة الأجزاء مختلفة الأشكال يقدر عددها بحوالي مئة مطحنة. (Texier, 1848)

2.3 الأعمال التي أنجزت من طرف بايان (Payen)

• أعمال فيفري 1857

بعدما جابت فرقة بايان الصحراء لأول مرة، توجه إلى مدينة بريكة حيث عثر على نقش كتابي باللغة اللاتينية بالقرب من سد قديم نقش عليه اسم "Tubonis" و يرجع بايان عدد سكان هذه المدينة ما بين 25-30 ألف نسمة، وهذا التقدير حسب امتداد أثارها. (Payen, 1857).

• الأعمال الخاصة بقنوات المياه 1864.

قام الباحث بايان بالتنقيب حول موقع طبنة الأثري مرة ثانية سنة 1868، واهتم في المرة الثانية بالبحث حول قنوات المياه من وإلى داخل قصر مدينة طبنة، حيث يوجد وسط المدينة صهاريج مياه واسعة مزودة بقنطريتين إحداها تجلب المياه من وادي بريكة والأخرى من وادي بن معزوز "وادي بيطام". وحسب نظره، فإن جميع مباني المدينة من إنجاز روماني.

و للأسف لم يعثر الباحث على نقوش كتابية تدعم هذه الفرضية، فقد تم الكشف على العديد من البقايا الهامة لبناءات مائية التي كان غرضها الأساسي سد حاجات سكان المدينة و سقي الأراضي الخصبة التي قدّر مساحتها بأكثر من 100 ألف هكتار. (1864 Payen,

3.3 الأعمال التي أنجزت من طرف فيل (VILLE) 1868

قام الباحث فيل بالتنقيب عن الطبقات الجوفية المائية في منطقة الحضنة وأجرى تحريات على موقع طبنة الأثري، إذ يذكر على أن الموقع يشهد على وجود مدينة كبيرة قسم منها يرتفع عن باقي المدينة بحوالي 6م وتتخذ الشكل المربع، و بها أنواع من الأبراج وبدون شك هذا المكان ما هو إلا القلعة حيث أنها لم تشمل مساحة كبيرة، إذ قدر طول ضلعها الواحد بحوالي 60م وبنيت أسوارها بالحجارة المصقولة من جير الميوسين الأبيض بدون استعمال البلاط فبعرض هذه الحجارة قد أصبحت هشّة و بعضها الآخر قاومت التآكل الجوي.

ويذكر أيضا على الرومان جلبوا المياه إلى طبنة من وادي بركة وبيظام بواسطة سدين و قناتين مبنيتين على الضفة اليسرى من الوادي إحداها لا تزال في مكانها إذ أدخلت في الطين الطمية التي تشكل حواف وادي بركة. أما الأخرى فوضعت بداخل سرير النهر، يبلغ سمك السد في القاعدة حوالي 4م، وبنيت سافلة النهر بالحجارة المصقولة الموضوعة بالتراجع الواحدة فوق الأخرى وسدت بالبلاط. (Ville.1868)

4.3 أعمال الباحث مسكري. (Masqueray) 1877

قام الباحث العسكري الفرنسي مسكري رفقة ستة رجال بالتنقيب وسط الموقع الأثري طبنة لمدة أحد عشر يوما، خلص في ختامها على أن الموقع يحتوي على ثلاثة مدن متتابعة وهي: المدينة الرومانية، والبيزنطية، والإسلامية، و تمكن خلالها من تحديد موقع المدينة الإسلامية كما وُصفت من طرف المؤرخين والجغرافيين في العصر الوسيط. إضافة إلى الكشف على الحمامات و الكنيسة في المدينة الرومانية، ثم قام بالتنقيب في القصر البيزنطي. وحسب رأيه هدمت مدينة طبنة عدة مرات و أعيد بناؤها وترميمها مما تسبب في تشويه النقوش الكتابية حيث يتعذر قراءتها. (Masquary. 1877)

5.3 أعمال الباحث شارل ديال (Diehl.Ch) 1892-1893.

يؤكد الباحث شارل ديال على أن الطريق الرابط بين بلزمة مروراً بنقاوس حتى طنبنة يقع بامتداد وادي بريكة، حيث بُنيت على حوافه قِلاع صغيرة بيزنطية للمراقبة. ويؤكد على أن القلعة البيزنطية لمدينة طنبنة بنيت على الضفة اليسرى من وادي بريكة على مسافة 04 كم من مقر بلدية بريكة المبنى على الضفة اليمنى ولا تزال القلعة محاطة بأبراج عالية، إذ لا تقل أهميتها عن قصر تيمقاد إلا أنه تهدمت أسوارها وتخرّب أبراجها بحيث تراكمت البقايا بداخل القصر إذ يصعب ملاحظة المبنى بوضوح ما عدا التصميم العام. فتشبه قلعة طنبنة قلعتي بلزمة وتيمقاد فهي ذات شكل مستطيل، تبلغ أبعادها من الداخل 54م طولاً و 72.50م عرضاً.

وتم تدعيم سورها من الخارج بثمانية أبراج مربعة أربعة منها تحمي الزوايا مقاساتها 10.50م طولاً على 9.10م عرضاً أما الأربعة الأخرى الموجودة في منتصف الجدران تتميز بصغر مقاساتها مقارنة بالأولى حيث تقدر مقاساتها بالنسبة لأبراج منتصف الوجهتين الشمالية والجنوبية بـ 8.50م طولاً على 7.5م عرضاً.

أما مقاساتها على الوجهتين الغربية والشرقية فتقدر بـ 7.50م بشكل ضلع، ولم يعثر على أبواب هذه الأبراج. ويتراوح سمك أسوار القلعة ما بين 2.30م تراكمت بداخلها بقايا قديمة تمثلت في أعمدة وركائز أعمدة، وتيجان، وأفاريز، وبقايا توابيت صخرية حجرية ونقوش كتابية. (Diehl.1894)

6.3 أعمال الباحث بلانشي "Blanchet" 1899.

يؤكد بلانشي "Blanchet" في دراسته أن طنبنة مدينة بربرية وهي إسهاما في التاريخ والفن البربري، فالبرغم من أنها درست سابقاً من طرف العديد من الباحثين أمثال بايان "payen"

، مسكري "Masqueray" ديال "Diehl" إلا أن نتائج دراستهم غير مجدية لأنهم ركزوا اهتمامهم في البحث عن الآثار الرومانية، بينما يرى بلانشي "Blanchet" أن قصر طبنة ما هو إلا قصر القرن (11م/05هـ) الذي ذكره البكري حيث حدد هذا الباحث موقع المسجد ذو التخطيط الكلاسيكي لمساجد القرون الأولى الإسلامية ذي ثلاثة أروقة وسطها ساحة، ثم مقبرة، وعثر في البقايا المتراكمة بين الجدران الأربعة للقصر على واجهات جدران مخرقة بالجص والتي أنجزت بالسكين. (Blanchet. ,1899)

4. أعمال الباحث راؤول قرنج (Grange.R) 1901-1900

إن آخر و أهم الدراسات التي أنجزت حول طبنة تتمثل في نتائج الحفريات التي قام بها هذا الباحث حيث تعرض في دراسته الأثرية إلى جميع المراحل التي مرت بها طبنة ابتداء من عصر ما قبل التاريخ، حتى الفترة الإسلامية، فأول ما اهتم به قرنج "Grange" في حفريته هي الأعمال الهيدروليكية لأنه يعتقد أنها الآثار الوحيدة التي لم تتعرض للأعمال التخريبية. (يُنظر إلى الشكل رقم 02)

1.4 الأعمال الهيدروليكية حول مدينة طبنة

• الأعمال على وادي بركة:

عثر الباحث على بقايا كتل بنائية قليلة البروز على بعد حوالي 5 كلم شمال شرق قرية بركة عند تفرعات وادي بركة ووادي خليج صخري، حيث يوجد بداخل الضفة اليسرى من هذا الوادي كتلة بناء غير محددة الشكل ، يبلغ ارتفاعها ما بين 01م إلى 1.20 م فوق مستوى قاع الوادي وبلغ سُمكها 2.50 م ، وهذه الكتل ما هي إلا بقايا سد صغير يبلغ طوله حوالي 15 م كانت وظيفته سقي جزء من الأراضي المحصورة ما بين الضفة اليسرى لوادي خليج صخري ووادي بركة حتى موقع مدينة طبنة، ثم تبرز كتلتان من البناء من

داخل سرير النهر على بعد 600م جُلبت هاتين الكتلتين من نفس البناء، والغرض منهما سقي الضفة اليمنى لوادي بركة وتوفير المياه للمزارع.

وتتمثل مادة بناء هذه الكتل السدية في حصى النهر الممزوج بالجير إذ يعتقد أن هناك علاقة فيها بينهما لأنها منفصلة عن بعضها البعض إلا بصخرة يبلغ ارتفاعها حوالي 7 م، عثر على بقايا سد ذي أهمية كبيرة الذي شيده الرومان على بعد 150 كلم عند تقاطع طريقي باتنة بوادي بركة، تمثلت وظيفة هذا السد في سقي الأراضي الخصبة للضفة اليسرى و تزويد صهاريج طبنة بالمياه. حيث قُدِّرَت أبعاده ب 12 م عرضا في القاعدة و 5.50 م في القمة و 3.20 م ارتفاعا وبنيت حواف أعلى وأسفل النهر بجدران حجرية مصقولة، مملوءة في الداخل بحصى مستديرة وضعت على شكل مدرجات (Grange.1901).

و يلاحظ في سافلة النهر أرضية ارتكاز طولها 4م وارتفاعها حوالي 1م، فوق مستوى البناء، و لم يتمكن الباحث من تحديد طول هذا السد لبقاء الجزء المرصع في الضفة اليسرى لوادي بركة، إذ تسببت الفيضانات بعد خلوّ المدينة من السكان في سقوط الجزء الشمالي من السد بفعل نقل وزنه، حيث جرت المياه بعيدا، ويتكون سرير النهر عند سفح السد الروماني من حصى مستديرة و متماسك فيما بينها و تزداد أحجامها سمكا كلما تعمقنا في الأرض، و في الجزء الجنوبي من هذا السد، يلاحظ جدار إسناد مطمور كليا تحت الرمال و هو مبني بالحجارة المصقولة يبلغ سمكه 0.80متر، كانت تسند عليه قناة للمياه إلا أنه لم يعثر عليها بالقرب من السد. بينما تظهر أسس لبناء سد آخر عرضه 3متر، غمر هذا البناء في الأراضي حيث عثر على بقايا قناة قُدِّرَ عرضه ما بين 2 إلى 3متر.

ويفترض قرنج "Grange" أنه لو استمر في الحفر لتمكن من الكشف عن بعض الأجزاء التي هي في حالة جيدة لهذه القناة، التي تزود الأراضي الزراعية بالمياه من السد رفعت على

نفس المسيل للقناة بعض آثارها، إذ أن هذه البقايا ليست بقناة وإنما بقايا لسد صغير طوله 15 متر فمن المرجح أنه خصص لتوقيف المياه التي يجلبها المسيل في فترة الأمطار ويحيي القنطرة من الفيضانات. (Grange.1901)

وعثر أيضا على بقايا قناة مياه بالضفة اليسرى من وادي بركة وهي تمتد على طول يتراوح ما بين 400-1800 متر قبل الوصول إلى الصور الشمالي للمدينة، نتيجة هذه القناة في خط مستقيم حيث تنحرف على بعد حوالي 100 متر قبل الوصول لوادي بركة مشكلة زاوية قدرها 190 درجة في الناحية الشمالية الشرقية متجهة نحو السد الروماني، ثم الكشف عن امتداد لهذه القناة في الناحية الشمالية الشرقية داخل أسوار المدينة بحوالي 50 متر كانت تتكون هذه القناة من أحواض حجرية مفرغة في نهايتها متصلة فيما بينها، يبلغ كل حوض حوالي 2 متر ومن 0.60 إلى 0.90 متر عرضا و 0.06 إلى 0.09 متر سمكا وضعت هذه الأحواض على سرير عرضه 01 م عمقه 1.50 م مبني بحصى النهر الممزوج بالجير، حيث رفعت هذه القناة فوق مستوى الأرض في بعض النقاط على كُتيفات متباعدة عن بعضها البعض كل 10 م تفاديا من تموجات التضاريس و تنبع هذه القناة من أهم سدود طبنة، و وظيفة هذه القناة تزويد صهاريج القصر بالمياه وسقي البساتين والأراضي الواقعة حول المدينة، دعمت هذه الفرضية بوجود نقاط مختلفة من الساقية آثار التفرعات الثانوية التي عرضها لا يتجاوز من 5 إلى 6 م، فمن المرجح وجود أدوات لضبط تدفق الماء- لم يبق منه شيئا- في نقاط تقاطع القناة الرئيسية مع قنواتها الثانوية. (يُنظر إلى الشكل رقم 03)

• الأعمال على وادي بيطام:

تشكل شق على حافة الوادي على بعد 200 م بالضبط عند تقاطع طريقي بركة وبسكرة، حيث توجد بالقرب منه بعض أجزاء الحجارة المصقولة التي تمر منها قناة المياه إلى مدينة طبنة، إذ لم يُعثر حتى مسافة 2 كلم من منبع النهر عن السد الذي كان يزود هذه

القناة بالمياه إلا عن أثر قطعٍ حجرية مصقولة هنا وهناك، وينعدم أثر هذه القناة على مسافة حوالي 1200 م من المدينة فمن المحتمل أن البقايا قد حملتها مياه النهر ، ويفترض الباحث على إثر البقايا الموجودة على طول الطريق أن عرض القناة يبلغ 1 م وسمكها 0.20 م.

ثم الكشف عن حوض صغير في حجم رأس إنسان ، وبعد تفريغه عثر على مخزن ماء تخرج منه ساقية مكشوفة تمتد على طول 4.70 م حيث بعد هذه المسافة لا يوجد لها أثر فمن المرجح أنها تحولت إلى الناحية الشرقية لتتصل بقنطرة المياه الرئيسية ، يتكون هذا المخزن من غرفة طولها 6.55 م وعرضها 2.60 م وارتفاعها 6.10 م عند مفتاح عقد القبة التي تركز على دعامين تحملان قوسا مقوسا ، و بأرضية هذه القبة. يوجد في مركزها حوضا قطره 1 م و عمقه 0.70 م أرضية مبلطة، وقُدِّر حجم هذا المخزن ب 87 م³، و يعتبر حجمه صغيرا نسبيا.(Grange.1901)

و الغريب في هذا المخزن في شكله المستطيل و الحوض الصغير الذي يحتوي عليه إذ أنه لا يشبه أي نموذج من النماذج المعروفة حاليا هذا من جهة ومن جهة أخرى وقوعه في أسفل نقطة من مخزن المياه،ربما كان يهدف لتلقي قاذورات المياه. ودعمت الساقية من الخارج بجدران قد تكون أسس لمنازل مجاورة.

2.4 التنقيب عن المدينة الرومانية

شُرع في الحفر وسط المدينة القديمة شهر جوان من سنة 1900 م، حيث عثر على أسوار وأبواب المدينة، فبعد الكشف عن الباب الأول الذي يقابله الباب الثاني كان هذان البابان مرتبطين ببعضهما البعض بطريق على جانبيه أعمدة بارزة، مما سهل في الكشف عن مكان الأسوار بالضبط ، ثم الكشف على مركز المدينة الذي يوجد عند تقاطع الزوايا

القائمة للطرق، كما هو الحال عادة في المدن الرومانية حيث من المرجح وجود الفوروم في هذه النقطة والمباني الرئيسية والنقوش الكتابية الإدارية، وإهداءات الأباطرة.

• الكشف على أبواب المدينة:

- الباب الأول:

يبلغ عرضه 4م و يعتقد أنه كان يغلق بباب خشبي ينزلق بداخل مزلق حجري يبلغ طول هذا المزلق 6م، عرضه 1م، و يوجد في نهايته اليسرى مصدمة وظيفتها توقيف الباب الخشبي.

ولوحظ على جدار هذا الباب كتلتين حجريتين منقوشتين بكتابة لاتينية، إحداهما على الجدار الأيمن والأخرى على الجدار الأيسر من الباب حيث يُصعب قراءة نصها لأنهما غير موضوعتين في الاتجاه الصحيح مما يؤكد أن هذا الباب قد أعيد بناؤه من طرف البيزنطيين بمواد جلبت من نواحي مختلفة كما هو الحال لجميع أبواب المدينة.(Grange.1901)

- الباب الثاني:

يقابل الباب الأول، وترتفع جدرانه حوالي 3متر، ويوجد على جانبيه غرفتين مقاساتهما 4.60متر طولاً، و3متر عرضاً، تمّ سدّ مدخل هذا الباب بالدبش الممزوج بالبلاط في الفترة اللاحقة بغرض حماية المدينة من الأعداء، ويرجع هذان البابان " الأول و الثاني" لفترة الاحتلال الروماني و ليس البيزنطي كما يفترض الباحث، و يتضح ذلك من خلال طريقة بناءهما. فبتحديد هذين البابين و الطريق الذي يربطهما تم استخراج أسوار المدينة وفي نفس الوقت الكشف عن ثمانية أبواب متقابلة.(يُنظر إلى الشكل رقم 04)

• الكشف على أسوار المدينة:

بعد أن قامت البعثة بالكشف عن السور الأول الذي بلغت أبعاده 760 م طولاً و 640 م عرضاً، ظهر في الجهة الشمالية والغربية من المدينة وعلى مسافة 190 م بالضبط مساحة أرضيته على شكل شريط أكثر ارتفاعاً من الأراضي المجاورة لها و موازية للسور الأول، قاعدة هذا السور مبنية بالحجارة المصقولة، تبلغ أبعاده في الناحية الغربية 960 م وفي الجهة الشمالية 990 م، و يلاحظ نقص أجزاء كثيرة من هذين السورين، حيث لم يبق منها سوى بعض البقايا من الحجارة المصقولة و الحصى الممزوج بالبلاط، و هو سهل التفتت يتراوح ارتفاع هذين السورين ما بين 5 م إلى 6 م و عرضها يتراوح ما بين 2 م إلى 2.30 م، بني هذين السورين بالحجارة المصقولة و ملأ داخلها بحصى النهر الممزوج بالبلاط (GRANGE.1901)، وقد رُمّم هذا السور بعد الفتوحات الإسلامية في عصر الوالي عمر بن حفص الذي استطاع بفضل هذه الاستحكامات ردّ هجوم فرق الخوارج على مدينة طبنة سنة 153 هـ، ثم أعيد ترميمه من طرف الأغالبة ووقفت المدينة سدّاً منيعاً في وجه الداعي الشيعي أبي عبد الله بفضل سنة 290-291 هـ. (جعيل، 2019).

• العثور على الحمامات الرومانية:

عثرت البعثة الأثرية على الحمامات الرومانية على بعد 150 متر من القصر، في منتصف السور الجنوبي بحوالي 180 متر من المدينة، تتكون هذه الحمامات من حوض دائري متصل بقناة ضيقة بنيت أرضيتها بأجر مسطح وطويل جداً بإحدى قناطر المياه، ويوجد بالقرب من الحوض قاعات التسخين المبنية بالأجر الموضوع الواحد فوق الآخر، تتصل هذه القاعات فيما بينها بفتحات يبلغ ارتفاعها 0.70 متر مبنية هي الأخرى بنفس الأجر الذي بنيت به القاعات، حيث بلطت أرضيتها، إلا أنه لم يعثر على أثر للفسيفساء. (يُنظر إلى الشكل رقم 05)

• الكشف على موقع الكنيسة والمقبرة:



توجد في الناحية الجنوبية من الحمامات مقبرة تقدر أبعادها ب 200متر طولاً و 100 متر عرضاً بها توابيت حجرية مكسورة، عُثر بالقرب من هذه المقبرة على نقوش كتابية، وبقايا لصدر كنيسة مزدوجة مسندة على صدر كنيسة رئيسية، وهي كنيسة طبنة التي ظهرت مطلع القرن الخامس ميلادي. (يُنظر الشكل رقم 06)

3.4 الكشف عن المدينة البيزنطية

• القلعة البيزنطية:

قام الباحث بالتنقيب عن المدينة البيزنطية منتصف سنة 1901، فكان تخطيط القلعة البيزنطية يشبه تخطيط قلعتي بلزمة و تيمقاد، إذ أنها عبارة عن مستطيل مدعم في الزوايا الأربعة، وفي منتصف الواجهات الأربعة بأبراج شبه مربعة تقدر مقاسات القلعة من الداخل ب 61.90م طولاً على 80.50م عرضاً، وتحتوي القلعة من الداخل على صهاريج- حسب ما ذكره المؤرخون العرب- إلا أنه استحال التنقيب في هذا الجزء لتحويله إلى مقبرة للسكان المحليين. (يُنظر الشكل رقم 07)

• الكشف على أبراج القلعة:

كشفت الحفريات عن الأبراج الثمانية وأسوار القلعة، إذ قدرت مقاسات أبراج الزوايا الأربعة ب 7.10متر طولاً على 7متر عرضاً، أما الأبراج الموجودة في منتصف الواجهات فقد اختلفت أبعادها، فتمثلت مقاسات البرج المتوسط للواجهة الشمالية ب 8.30متر طولاً على 6.10متر عرضاً، والبرج المتوسط للواجهة الجنوبية قدرت مقاساته ب 6.70متر طولاً على 4.70 متر عرضاً، أما فيما يخص المقاسات الخاصة بالأبراج المتوسطة للمواجهتين الشرقية والغربية فهي 5.30متر طولاً على 6.75متر عرضاً، واستنتج قرنج أن قلعة طبنة

لم تُهدم من طرف المسلمين، بل أعيد ترميمها من طرفهم في الجانب الداخلي حيث شيّدوا فيها مسجدا في جزئها الشرقي وقصرا في جزئها الغربي.

4.4 التنقيب على المدينة البربرية الإسلامية

• الحمام البربري (الإسلامي)

يقع هذا الحمام على بعد 2 كلم من السور الشرقي للمدينة، وعلى بعد حوالي 100 متر من الزاوية التي يشكلها مع السور الشمالي، أرجع الحمام إلى القرن 6هـ/12م، أو القرن 7هـ/13م، استنادا على طريقة بنائه وخشونة منحوتاته الجصية، وقد بنيت أجزاء من هذا الحمام بالمواد الرومانية.

وساحة هذا الحمام موازية لسور المدينة بمسافة 2متر، وهي مبلطة بحجارة مصقولة حيث نقشّت على إحدى هذه الحجارة كتابات لاتينية، وضعت على خط مستقيم وموازي للسور بأربعة أعمدة يبلغ ارتفاعها 3متر، يسند في الساحة من الناحية الغربية مقعدا عرضه 0.85متر، وعموديا له توجد حفرة تتمثل في بيت الخلاء يبلغ عمقها 0.50متر حيث يخرج من أسفلها في الناحية الشرقية قناة تمر تحت تبليط الساحة ثم تستمر مكشوفة بعض الأمتار في الناحية الجنوبية فجأة تشكل عطفة و تتوه في الأراضي الشمالية الشرقية.

يحتوي هذا الحمام على ثلاثة قاعات مسندة على جدار المقعد:

- القاعة الأولى: تقع هذه القاعة في الشمال، فقد تكون مدخل الحمام وفي نفس الوقت قاعة خلع الملابس.

- القاعة الثانية: وهي تتصل بالقاعة الأولى إذ تعتبر قاعة التعريف، بلطت أرضيتها التي تتميز بالانحدار، تحتوي على سرير ميدان، مرفوعا على أوتاد، ارتفاعها حوالي 0.30 متر.

- القاعة الثالثة: وهي تتصل كذلك بالقاعة الثانية و تتمثل في قاعة الاستحمام، بلطت أرضيتها، و يحيط بها مقعد حجري، ارتفاعه و بروزه 0.25 متر، مشكلا حوضا يسند في الناحية الغربية بحوض صغير، فربما كان يستعمل لغسل الأرجل، كان يزود بالمياه عن طريق مخزن ماء، يقع أقصى الجنوب بواسطة قناة فخارية. (يُنظر إلى الشكل رقم 08)

بينما يمتد حوض آخر طويل وضيق بامتداد القاعات الثلاثة للحمام من الناحية الغربية، مستندا على الحوض الصغير في الجهة الشمالية، كانت تتصل القاعات الثلاثة فيما بينها قناة من الرصاص، وغطت جدرانها جزئيا بالجص المنحوت، رسمت عليه بالتنقيط أحصنة و طيور منفصلة بدوائر مركزية قطرها من 0.03 متر إلى 0.02 متر. (يُنظر إلى الشكل رقم 09).

• الكشف عن المسجد والمقبرة

تقع هذه المقبرة بالضبط، في الزاوية الجنوبية الشرقية من سور طبنة بها توايبت حجرية تحيط بمبنى قد يكون المسجد الذي بُني أثناء إقامة الفاتح عقبة بن نافع الفهري بالمدينة سنة 63هـ ثم أعيد بنائه وترميمه خلال فترة عامل المدينة الأغلب بن سالم التميمي (144-148هـ) وعمر بن حفص الملقب بهازمرد الذي أعاد ترميم وبناء المدينة ما بين (151-153هـ)، ونُحتت هذه التوايبت بالحجارة أو شكلت من مجموعة من الحجارة وهي ذات أشكال مختلفة تمثل غطاءها في حجارة مسطحة، حيث بعضها لا يزال يحتوي على بعض الجواهر الذهبية والفضية والنحاسية، و عقود مختلفة من الحجارة الثمينة، و أقنعة بارزة ، لقد تعرضت هذه التوايبت للنهب لأن أعطيها غير موجودة، علاوة على هذا نقص و تبعثر العظام. وبنيت جدران هذه المقبرة بحصى النهر والأجر المغطوس في الجير يتميز هذا

الأجر بكبر حجمه إذ يبلغ طوله 0.40 متر و عرضه 0.30 متر وسمكه 0.04 متر، أما زوايا الجدران و أضلع أبواب المقبرة و الأعمدة فقد بنيت بالحجارة المصقولة التي جلبت من المدينة الرومانية.

إن الأمر الذي جعل قرننح يؤكد أن هذه المقبرة ترجع إلى الفترة البربرية هو أن العرب ليس من عاداتهم دفن موتاهم بداخل توابيت زيادة عن هذا تشابه كبير في طرق البناء التي استخدمت في بناء الحمام البربري والمسجد. (يُنظر إلى الشكل رقم 10).

5. خاتمة:

- إن موقع مدينة طبنة الاستراتيجي، أهلها أن تلعب دورا هاما عبر الحقب التاريخية المختلفة.

- ظهرت مدينة طبنة في الكتابات التاريخية والجغرافية منذ سنة 20 ق.م.

- برز دور المدينة الدفاعي أيام تقدم الرومان إلى منطقة نوميديا، حيث ساهم سكانها في مقاومة المحتل عدة مرات.

- بُني الحصن العسكري لمدينة طبنة من طرف الرومان ضمن خط الليمس الدفاعي نهاية القرن الأول الميلادي ومطلع القرن الثاني الميلادي

- أصبحت مدينة طبنة عاصمة الإقليم عسكريا مطلع القرن الخامس الميلادي.

- أعيد ترميم المدينة من طرف البيزنطيين سنة 540 م وعُدّت من أهم الاستحكامات العسكرية البيزنطية في المنطقة.

- أول من وصل المدينة من الفاتحين المسلمين هو الفاتح عقبة بن نافع الفهري سنة 63هـ، لتلعب دورا هاما خلال فترة عصر الولاة، وأهلها موقعا الاستراتيجي أن تترقى إلى عاصمة إقليم الزاب الفسيح.

- تقع أطلال الموقع الأثري طبنة اليوم على بعد 04 كم من وسط مدينة بركة، مقابل المركز الجامعي بركة، وهي في حالى يرثى لها، فهي مدينة مطمورة تحت الأرض.

- بدأت الأبحاث الفرنسية حول موقع طبنة الأثري سنة 1848م، وأول من قام بزيارة المدينة هو الباحث العسكري تيكسي، الذي عرّف بموقعها الاستراتيجي والمحجرة التي جلبت منها الحجارة، إضافة إلى الطرق الرابطة منها وإليها، مع التأكيد على وجود ضيعات زراعية كبيرة حول الموقع.

- زار الباحث العسكري الفرنسي بايان طبنة مرتين الأولى سنة 1857 والثانية سنة 1864، تعرّف خلالها على الموقع الأثري وبحث في الاستحكامات المائية للمدينة.

- قام الباحث الفرنسي فيل بعملية تنقيب حول الموقع الأثري لطبنة وأشار على وجود مدينة كبيرة ذات شكل مربع ترتفع عن بقية الأرض بستة أمتار.

- أشار الباحث مسكري بعد عملية التنقيب التي أجراها وسط الموقع الأثري، على أن مدينة طبنة تحتوي على ثلاثة مدن متتالية: رومانية، بيزنطية، إسلامية.

- قام الباحث شارل ديال بالبحث والتنقيب عن القلعة البيزنطية وأبراجها ثم الكشف عن أسوارها، مع التأكيد على أنها تشبه القلعة البيزنطية لبلزمة وتيمقاد.

- يصير الباحث بلانشي بأن مدينة طبنة مدينة إسلامية وما هي إلا المدينة التي ذكرها المؤرخون والجغرافيون المسلمون.

- أقام الباحث العسكري راوول قرنج لسنتين قام خلالها بعملية تنقيب واسعة تتبع من خلالها المعالم البارزة للمدينة مع تركيزه على الرومانية والبيزنطية دون الإسلامية، وتعد حفرة قرنج بالرغم من أنها عشوائية إلا أنها الوحيدة التي أماطت اللثام عن معالم المدينة.

- موقع طبة الأثري اليوم بحاجة إلى عملية حماية وتنقيب مستعجلة، فجل معالم المدينة بدأت بالضياع لعوامل طبيعية وبشرية، والكشف عن معالم المدينة يعزز الهوية الوطنية ويفتح باب البحث العلمي والاكتشاف إلى أن تصبح استقطابا سياحيا مستقبلا بتضافر كل الجهود.

5. قائمة المراجع:

1. المؤلفات:

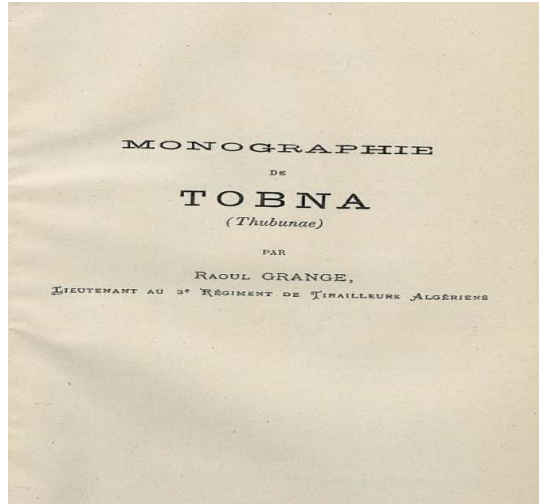
- 1- جعيل، أسامة الطيب، (2019) معجم أعلام طبة في العصر الوسيط — دراسة تاريخية- (ط01). سيدي موسى-الجزائر، دار الأوطان للطباعة والنشر.
- 2- Plin, L'ancien, (1980) **Histoire Naturelle**, (v46), paris-France, édition les belles lettres.
- 3- Gsell, stéphane, (1911) **Atlas archeologique de l'algerie**, (v03), paris-France.
- 4- الحموي، ياقوت، (1990) معجم البلدان، ج04، تحقيق: فريد عبد العزيز، (ط01)، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية.
- 5- اليعقوبي، أحمد، (2003) كتاب البلدان، وضع حواشيه: محمد أمين ضناوي، (ط01). بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية.
- 6- ابن خلدون، عبد الرحمن، (2000)، ديوان العبر والمبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج06، ضبط المتن: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، (ط01)، بيروت-لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر.

- 7-Grange , Raoul, (1901) monographie de tobna (thubunae), v01, paris-France.
8-Ville, (1868) voyage d'exploration dans les bassins du Hodna et du sahara ,
v01, paris- France.

2. المقالات:

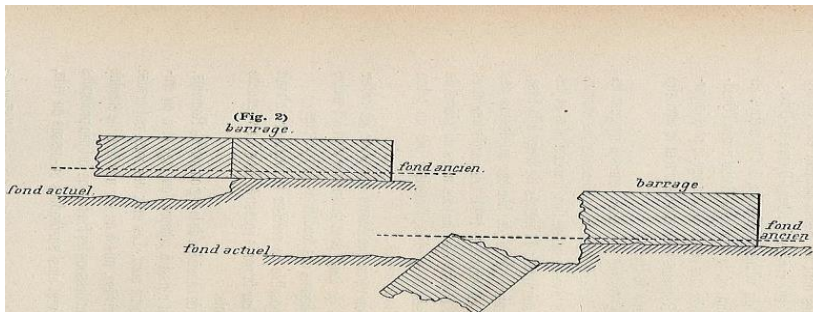
- 9- لقبال، موسى، (1978)، طبنة مدينة الزاب والأوراس في العصور الوسطى، مجلة
الأصالة. (العدد 60-61)، ص83.
10-Texie , (1848) Exploration de la province de Constantine et des zibans ,
revue archéologiques. P 134-135
11- Payen, (1857) Notice sur l'empacement de plusienss villes ramaines de la
subdivision de batna, annuaire de la société de la province de Constantine.
P173
12- Payen, (1864) Notice sur l'empacement de plusienss villes ramaines de la
subdivision de batna, annuaire de la société de la province de Constantine.
P148.
13- Masquery.(1877) mission dans la province de Constantine , revue
africaine , (v11), p44 .
14- Diehl.charel.(1893) rapport sur deux missions archéologique dans l'afrique
du nord, extraits des archives des missions scientifique et li Heraies, p22-25.
15- blanchet. M.(1899) excursion archéologique dans le hodna et le sahara,
Recueil des Notices et mémoires de la société archéologique de département de
Constantine , p290-291.

الشكل 2: واجهة كتاب الباحث قرنج



المصدر: (Grange , 1901)

الشكل 3: الأعمال الهيدروليكية على وادي بركة



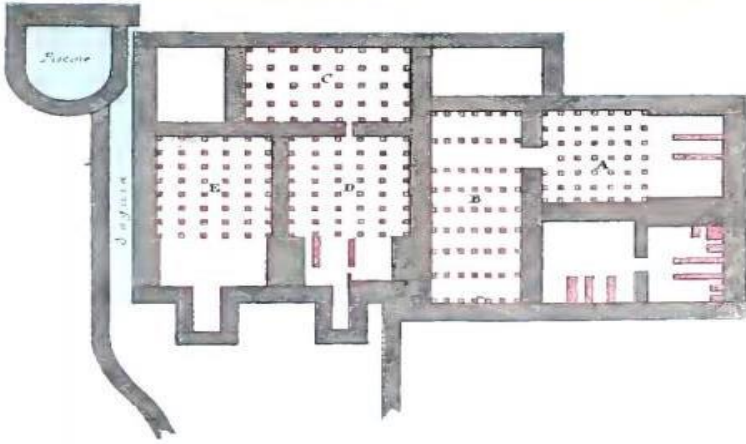
المصدر: (Grange , 1901)

شكل4: الباحث قرنج يجلس أعلى الباب الأول

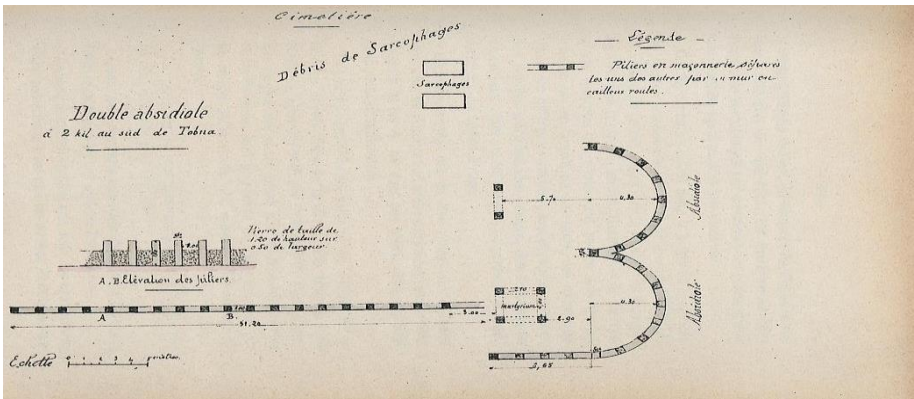


المصدر: (Grange ,1901)

الشكل5: تخطيط الحمام الروماني حسب الباحث قرنج



الشكل 6: صدر الكنيسة والمقبرة



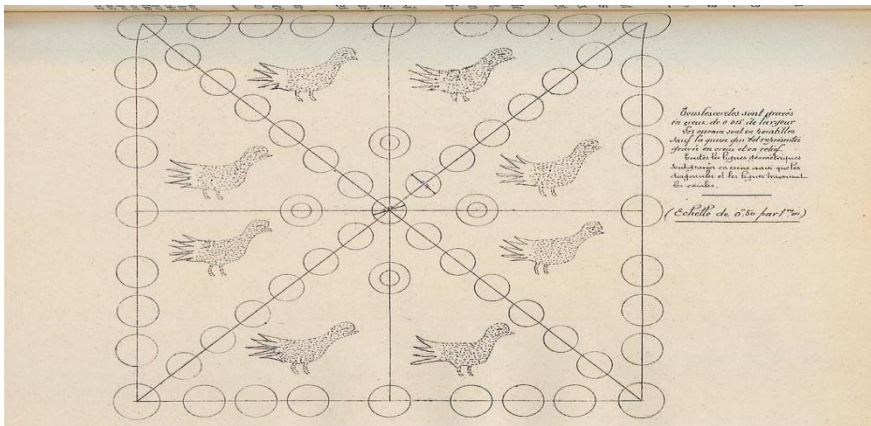
الشكل 7: التنقيب وسط القلعة البيزنطية



الشكل 8: الحمام البربري (الإسلامي)



الشكل 9: الزينة على الحمام البربري (الإسلامي)



الشكل 10: تخطيط المسجد والمقبرة الإسلامية

